

الدعاء..
وآثاره الروحية
ادعوني أستجب لكم
٩
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

الدعاء..

وآثاره الروحية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الهداة الميامين.

في قلب آيات الصوم التي تبيّن احكامه وظروفه الزمانية والمكانية نزلت آية، فيها ربنا يذكر نفسه وقربه الينا سبع مرات آية تشير الى روح العبادة والى مخها آية تظهر فيها الودّ الإلهي للعبد وترفع عنه الوحشة وتعطيه عهداً دائماً منه بالقرب والاستجابة وتتطلب فيها وفي زوايا الكلام وخباياه أن لا يترك ربه وأن لا يتوجه الى سبب وهمي.

يطلب فيها بودية عالية تسكب في قلب المؤمن الأنس والرضا والاطمئنان، آية تعلم المؤمن بأنه محاط بعظيم «يؤمن الخائفين وينجي الصالحين ويرفع المستضعفين ويضع المستكبرين ويهلك ملوكاً ويستخلف أخرين»(١) إنها الآية ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٢) إنها الآيةَ التي نزلت بسبب رجل جاء الى رسول الله ﷺ فسأله عن الله سبحانه وتعالى {يا رسول الله} أهو قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ ويقيناً أن الجواب أتى سريعاً الى رسول الله ليبلغ الناس به لأن الله قريب سميع مجيب.

معروف أن في كل الأسئلة التي يسأل فيها رسول الله يأتي التسديد الإلهي بالإجابة مع أمر رسول الله بالإجابة بكلمة قل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ و﴿وَيَسْأَلُونَكَ

(١) . مقطع من دعاء الافتتاح.

(٢) . البقرة آية ١٨٦.

عَن الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1] و ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2] و ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3] نلاحظ كلمة «قل» وهو توسط الرسول بين السائل «المؤمنين» والمجيب «الله» بينما في الآية الكريمة السابقة تُرفع هذه الواسطة بالرغم من كونها واسطة مقدسة فيجيب الباري مباشرةً ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

إن ذكر الله خير في كل حال ومن ذكر الله الدعاء لأنه بحسب ما يروى أن كتاب الله هو القرآن النازل والدعاء هو القرآن الصاعد ففي الدعاء حالة انشداد وتمسك لكل قلب محبٍ واله بمحبوبه الحق، إن تبدل الاحوال وتصرم الأزمان وتقلب وتغير كل الأشياء يخبرنا أن هناك شيء واحد ثابت لا يتغير ولا يتبدل، لا تتغير قوانينه ولا تتبدل آراؤه فعلينا أن نعبده ولا نعبد غيره ونتمسك به ولا نتمسك بغيره ونوجه اليه نفوسنا وبصائرنا وندعوه في كل حال وننتظر عطاءه. وقد يبطئ علينا لعلمه بالمصلحة لانه هو الحكيم ونصبر على طاعته وخدمته ولا نسأم ولا نقنط من فضله، قال أحد الحكماء مخاطباً نفسه «يانفس اقتني الصبر والثبات على عبادة إلهٍ واحد فهو أهنأ لعيشكِ وأعظم لراحتكِ واحذري أن

---

(١) . الاسراء آية ٨٥.

(٢) . البقرة آية ١١١.

(٣) . يونس ١٨.

يحـدوكِ الملل والضجر فتخرجي عن حد الوحدانية فتكثر آلهتك. ومن كثرت آلهته كثرت خدمته واشـتد تعبـه ونصبه، وتوافرت همومه وتشعشعت نفسه فهلك، يا نفس إن الضجر والملل مقرونان بالنفـوس البهيميـة، والصـبر والثبات مقرونـان بالنفـوس التامة الإنسـانية فلا يخرجـك الضجر والملل عن حد الصبر فتسـتريحي الى اتخاذ الآلهة ثم تنقسـمي بعبادتهم وخدمتهم فتتحمقي وتتحللي فيطفأ نورك وتضعف قوتك ويذهب شـرفك ويزول سلطانك وهذا هو موتك فاحذريه وانحرفي عن معانيه».

فعلينا ـ إذا كنا عقلاء ـ أن نعبد الهاً واحد فلا نعبد غير الله. علينا ان نـترك عبادة الهـوى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَـوَاهُ﴾[1] ، وعبادة الشيطان ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[2]، وغـيره من الالهـة التي تعبـد علينَا أن لا نشـرك به شـيئاً فالعاقل الذي يغتنم الفرص ويوظفها لإخراج نفسـه مـن الهلكة الحقيقية «الذنوب» واسـتمطار غمائم الرحمة الإلهية بطلـب العفو والمغفرة. لكن ما هو الطريق وكيف الوصول.

إن لكل شـيء شروط ومقدمات لوجوده وتحصيل أعلى درجات كمال الشـيء يكـون بدقة توفر الشـروط والمقدمات فكما أن الفلاح لا يحصل على الزرع الجيد إلا بأرض صالحة وسقي متوازن وبذر سـليم كذلك طالب المغفـرة والعفوِ يحتاج الى زمان ومكان وشـرائط أخرى لحصولـه على العفو اولاً ثم قد يدخل الى سـاحة القرب الالهي ثانياً وخير زمانٍ هو شهر رمضان فقد روى الكليني

---

(١) . الجاثية آية ٢٣.

(٢) . يس آية ٦٠.

في كتابه الكافي وبسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ـ لما حضر شهر رمضان وذلك في ثلاث بقين من شهر شعبان ـ قال لبلال نادِ في الناس. فجمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إن هذا الشهر قد خصكم الله به وحضركم وهو سيد الشهور، ليلة فيه خير من ألف شهر، تغلق فيه أبواب النار وتفتح فيه أبواب الجنان، فمن أدركه ولم يغفر له فأبعده الله، ومن أدرك والديه فلم يغفر له فأبعده الله، ومن ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ فلم يغفر الله له فأبعده الله.[1]

ولوجودٍ علاقة شديدة بين شهر رمضان المبارك وبين الدعاء نذكر شيئاً عن شهر رمضان وفضائله وبعض ما يتعلق به وعن الدعاء وشروطه وما يتعلق به من توضيح.

شهر رمضان

كانت العرب سابقاً تسمي الشهور بأسماء هي «ناتق، ثقيل، طليق، نأجر، أسلخ، أملح، أحلك، كسع، زاهر، برك، حرف، نعس»[2]

وحين اشرقت شمس الإسلام تغيرت اسماء الشهور واستقرت على هذه الاسماء المعروفة عندنا اليوم. ويقال أنهم حينما نقلوا أسماء الشهور القديمة عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق «ناتق» زمن الحر والرمض وهو شدة الحر. وهنالك آراء حول

(١) . الكافي / ج٤ / ص٦٧.

(٢) . مروج الذهب: ج١/ص٢٥٠.

تسميته بشهر رمضان منها :ـ

١. شهر رمضان مأخوذ من رمض الصائم: أي اشتد حر جوفه أو لأنه يحرق الذنوب وروى في هذا المعنى حديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أنما سمي رمضان لان رمضان يرمض الذنوب «أي يحرقها»[١].

٢. شهر رمضان مأخوذ من الرميض : وهو السحاب والمطر الذي يكون في آخر القيض وأول الخريف، فسمي هذا الشهر رمضان، لأنه يغسل الأبدان من الذنوب والآثام[٢].

٣. أنـه من أسماء الله تعـالى فهو بمعنى الغافر «أي يمحو الذنوب ويمحقها»[٣] .

وهناك اقوال اخرى تصب في هذه المعاني التي ذكرناها فنلاحظ إن كل المعانـي المتقدمـة تصـب في معنـى المغفرة ومحـو الذنوب ومحقها.

في آداب التلفظ بهذا الاسم

ورد النهـي عـن التلفـظ برمضان بـدون إضافة شـهر فقد روى الكليني بسـنده عن سـعد بن سـالم قـال: كنا عنـد ابي جعفر محمـد بـن علي الباقر عليه السلام فذكرنا رمضـان، فقال عليه السلام: لا تقول هذا رمضان، ولا جاء رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى وهو ـ عز وجل ـ لا يجيء ولا يذهب، ولكن قولوا شهر رمضان فإن

(١) . مستدرك المسائل / ج٧ / ص ٤٨٤/ ح ٨٧١٠.

(٢) . كتاب العين / ج١/ ص٧١٣. نقلاً عن كتاب اللوامع الالهية.

(٣) . القاموس المحيط / ص ٥٩٤.

الشهر مضاف الى الاسم والاسم اسم الله عز ذكره[1].

وروي عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تقولوا رمضان ولكن قولوا شهر رمضان فإنكم لا تدرون ما رمضان[2].

قال الشهيد الاول محمد بن مكي العاملي الجزيني في كتاب نكت الارشاد: فائدة، نهي عن التلفظ برمضان بل يقال شهر رمضان في احاديث من اجودها ما أسنده بعض الافاضل الى الكاظم عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: لا تقولوا رمضان فإنكم لاتدرون ما رمضان، من قاله فليتصدق وليصم كفارة لقوله ولكن قولوا كما قال الله تعالى شهر رمضان.

فيجب علينا ونحن مكلفون بإطاعة المعصوم التأدب في تلفظ هذا الاسم المبارك لأنه وحسب الرواية الاولى اسم لله جل وعلا.

في عظمة وفضل هذا الشهر المبارك

بمراجعة سريعة للأحاديث الصادرة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام نجد أن هناك جملة فضائل لهذا الشهر المبارك نذكر منها شيئاً يسيراً وعلى شكل نقاط:-

١. فرض فيه الصيام دون غيره من الشهور.

٢. فيه ليلة خير من ألف شهر وهي ليلة القدر المباركة.

---

(١). الكافي / ج٤ / ص٦٩.

(٢). الكافي / ج٤ / ص٦٩.

٣. من صلى فيه صلاة تطوع في الليل كأنه صلى سبعين ليلة في غيرهِ.

٤. هو شهر الصبر، والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد.

٥. هو شهر المواساة بين الأغنياء والفقراء، هو الشهر الذي يجوع فيه الاغنياء والفقراء على السوية.

٦. هو شهر الرزق وكان الناس في زمن النبي يسمون شهر رمضان بشهر الرزق.

٧. من فطر صائماً فيه غفرت ذنوبه فيما مضى.

٨. من فطر صائماً فيه فله أجر عتق رقبة.

٩. من خفف فيه عن مملوك خفف اللّه عز وجل عليه حسابه وقد يدخل تحت هذا العنوان الاجير عند من استأجره.

١٠. أول الشهر منه رحمة.

١١. وسط الشهر مغفرة.

١٢. آخر الشهر إجابة وعتق من النار.

١٣. تصفد الشياطين فيه.

١٤. في كل ليلة منه للّه عتقاء من النار.

١٥. في أول ليلة من رمضان يرفع اللّه المؤمن الفي الف درجة.

١٦. يبنى للمؤمنين في أول ليلة منه خمسين مدينة في الجنة.

١٧. يكتب للصائم في اليوم الثاني في كل خطوة يخطوها عبادة

سنة وثواب نبي وصوم سنة.

وفي كل يوم من ايام شهر رمضان هناك جائزة ومن أراد الاستزادة فعليه مراجعة كتب الحديث المعتبرة عندنا[1] وعند غيرنا. وأخيراً نختم كلامنا في فضل شهر رمضان وفضل الصائم المتوجه الى الله سبحانه وتعالى بما رواه عبد الله بن عباس قال: أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إن الجنة لتنجد وتزين من الحول الى الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كان أول ليلة منه هبت ريح من تحت العرش يقال لها «المثيرة» تصفق ورق اشجار الجنان وحلق المصاريع، فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه، ويبرزن الحور العين حتى يقفن بين شرف الجنة، فينادين: هل من خاطب الى الله عز وجل فيزوجه؟، ثم يقلن: يا رضوان ما هذه الليلة؟ فيجيبهنَ بالتلبية، ثم يقول: يا خيراتُ حسان هذه أول ليلة من شهر رمضان، قد فتحت أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد صلى الله عليه وآله قال: ويقول له عز وجل: يا رضوان افتح أبواب الجنان، يا مالك اغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة محمد صلى الله عليه وآله ، يا جبرائيل اهبط الى الارض فصفد مردة الشياطين وغلهم بالأغلال ثم اقذف بهم في لجج البحار حتى لا يفسدوا على أمة حبيبي صيامهم. قال: ويقول الله تبارك في كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات: هل من سائل فأعطيه سؤله؟، هل من تائب فأتوب عليه؟، هل من مستغفر فأغفر له؟، من يقرض المليء غير المعدم والوفي غير الظالم... الى ان يقول: فيسلمون{أي الملائكة} على كل قائم وقاعد ومصلّ وذاكر ويصافحونهم ويؤمّنون على دعائهم حتى يطلع الفجر...»

(١) . مثل كتاب / ثواب الاعمال للصدوق/ والكافي للكليني/ والوسائل للحر العاملي وغيرها.

الى نهاية الحديث.[1]

ومـع هذه النسـائم التي هبت علينا من هـذا الحديث المبارك مع اشـراق نور المغفرة على ظلمة اليأس من روح اللّه مع الاسـتقراض من «المليء» وحتى تصافحنا الملائكة وتؤمّن ننتقل الى الدعاء.

الدعاء

ورد في الاثـر ان الدعـاء مخ العبـادة لكن لماذا له هـذه المنزلة، لأن الدعـاء هـو الصلة الـتي تربط بين الانسـان وخالقـه والدعاء أمـر فطري فكما ان الطفل كلما يشـعر بالجوع يبكي فتلقمه أمه الثدي ليتغذى بالحليب فكذلك الانسـان يشعر بحنين باتجاه الكمـال باتجـاه اللّه ربـه ويطلب منـه الكمال ويفـزع اليه عند الشـدائد ويتضـرع اليه في كشـف ضـره ودفع السـوء عنه. فهو ضعيف أمام أحداث الدنيا لا يجد سنداً لضعفه غير الدعاء ولذلك اعتنى القرآن الكريم لهذا الامر.

إن الدعاء علاج لكثير من الامراض النفسـية فالانسـان بطبعه محتـاج بمشـكلاته لأن يفضي بدخيلـة نفسـه الى صديق حميم يخفـف عنه بعض ما يشـعر به مـن هم وحزن وقـد ذكـر الاطباء النفسانيون أن علاج التوتر العصبي والآلام النفسية أنما تتوقف الى حد كبير عندما يفضي الانسان المريض لأحد، فإن كتمان الآلام والمشـاكل أنما تزيد المريض سـوءً، فإن أفضى الانسان الى اخيه يقل هذا الضغط النفسـي، فكيـف إذا أفضى الى من هو محيط

---

(١) . اقبال الاعمال لابن طاووس / ج١/ ص ٢٤. ٢٥.

بالأشياء قادر على كشف البلوى فإنه سوف يتنفس الطمأنينة ويستنشق النفحات الإلهية التي تنتشله من الهم والضيق.

وقد أورد إشكال على الفائدة من الدعاء، وهذا الاشكال ليس بجديد فقد قالت اليهود ومنذ زمن بعيد، إن الله لما خلق الاشياء وقدر التقادير تم الامر وخرج زمام التصرف الجديد من يده بما حتمه من القضاء فلا نسخ ولا بداء ولا استجابه لدعاء لأن الأمر مفروغ عنه.[1] وهذا الكلام يتنافى مع قدرة الله سبحانه وتعالى وأن قدرة الله مطلقة وغير مقيدة بشيء، وهذا الكلام ايضاً يبطل السعي الانساني في سبيل التطور والتقدم سواء بالمجال المادي أو المعنوي، وايضاً هناك شرذمة اخرى تقول إن الدعاء تدخّل في أمر الله وأن الله يفعل ما يشاء، إن هؤلاء لا يفهمون أن كل عبادة من العبادات التي فرضها الله سبحانه وتعالى علينا أو التي رخصها لنا لها آثارها الخاصة، فكما أن الصوم الذي فرضه الله علينا فيه تأديب للانسان بالمواساة مع إخوانه، خصوصا الفقراء منهم حتى يستشعر جوعهم وحاجاتهم الاخرى، فكذلك الدعاء فيه يستشعر الانسان الخضوع ويدفع عنه آفة التكبر ويزداد ارتباطاً بالله تعالى، وايضاً فأن بعض العطايا الالهية تأتي بحسب نوع العبادة والطاعة فمثلا أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وصلة الرحم تطيل العمر وتكثر الرزق فكذلك الدعاء، يقول الإمام الصادق عليه السلام: إن عند الله عز وجل منزلةً لا تنال الا بمسألة[2]، وفي بداية هذا الحديث كان الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام يقول لميسر بن عبد العزيز: «يا ميسر أدع ولا تقل أن الامر قد فرغ منه» في

(١) . الميزان في تفسير القرآن / ج٢ / ص١٦.

(٢) . الكافي / ج٢ / ص٤٦٦.

نهايـة حديث الإمام مع هذا الصحابي يقول الإمام له «ولو أن عبداً سـد فاه ولم يسـأل لم يعط شيئاً فسل تعطى يا ميسر أنه ليس من باب يقرع الا يوشـك أن يفتح لصاحبه» وهنا ينبهنا إمامنا الصادق عليه السلام إن لوجود الاشـياء وعدمها أسـباب وشـروط ويأبى الله الا أن يجري الاشياء بأسـبابها ومن جملة الاسباب لبعض الامور الدعاء.

لقـد سمى القـرآن الكريم الدعـاء بالعبادة ففي قولـه تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَـيَدْخُلُونَ جَهَنَّـمَ دَاخِرِينَ﴾[1] وفي معنـى العبـادة الـتي وردت في هذا الآية قال الصـادق عليه السلام «الدعاء هو العبادة التي قال الله عنها عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَـيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾»[2]، ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أحـب الاعمال الى الله عز وجـل في الارض الدعاء، وأفضل العبادة العفاف»[3].

أصناف الداعين

الصنـف الاول: حـين تنقطع وتغلـق كل دروب الخـلاص بوجه الانسـانٍ ويصبح مضطراً للالتجاء لله سـبحانه وتعالى، فقد روي أن رجلاً قال للإمام الصادق عليه السلام: يا ابن رسـول الله دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر علي المجادلون وحيروني فقال الإمام له: «يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟» قال: نعم، قال: «فهل كسر بك حيث

(١) . غافر آية ٦٠.

(٢) . الكافي / ج٢/ ص ٤٦٨.

(٣) .الكافي / ج٢/ ص ٤٦٨.

لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟» قال: نعم، قال: «فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئًا من الاشياء قادر على ان يخلصك من ورطتك؟» قال: نعم، قال الإمام الصادق عليه السلام: «فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعليه الإغاثة حيث لا مغيث»[1]. نرى هذا النوع من الناس لا يعرف وجود الله جل وعلا وهو فاقد له لا يشعر به مستأنس بوجود الاشياء المادية التي حوله لا يعرف الله الا وقت الشدة والمحنة، الا أن هناك شيء ما من الاشياء قادر على إنقاذه من هذه الهلكة.

الصنف الثاني: الانسان الذي تكون روحه متعلقة وحسب تعبير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «بالمحل الاعلى» الانسان الذي تسمو نفسه عن علائق الدنيا وتنزع كل سبب من أسبابها وتتعلق بالسبب الحقيقي ليس لأنه مضطر بل أنه في تمامية اختياره الموهوب له من خالقه ﴿إلهي إنْ حَرَمْتَني فَمَنْ ذا الَّذي يَرْزُقُني وَإنْ خَذَلْتَني فَمَنْ ذا الَّذي يَنْصُرُنَي﴾[2]، انسانًا لا يرجو من الدنيا شيئًا بل كل الذي يريده هو ﴿إلهي هَبْ لِي كَمالَ الانْقطاعِ إلَيْكَ وَأنِرْ أبْصارَ قُلُوبنا بِضِياءِ نَظَرِها إلَيْكَ حَتّى تَخْرِقَ أبْصارُ القُلُوب حُجُبَ النُّور فَتَصِلَ إلى مَعْدِنِ العَظَمَةِ وَتَصِيرَ أرْواحُنا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِكَ﴾[3]، بل أن الالم لديه هو ببعده عن الله ﴿إلهي ما أقْرَبَكَ مِنّي وَأبْعَدَني عَنْكَ وَما أرْأفَكَ بِي ! فَما الَّذي يَحْجُبُني عَنْكَ﴾[4]، أن نفسه ترتفع

---

(١) بحار الانوار / ج٣/ ص٤١.

(٢) . مفاتيح الجنان.

(٣) . مفاتيح الجنان.

(٤) . مفاتيح الجنان / دعاء الإمام الحسين يوم عرفة.

عـن كل الـدلالات «الموجودات الامكانيـة» الى اللّه عز وجل فلا يلتفـت الى غيره جل وعلا ﴿إلهي تـرَدُّدي في الآثار يُوجِبُ بُعْدَ المَزار فاجْمَعْـنِي عَلَيْكَ بِخِدْمَةٍ تُوصِلُني إلَيْكَ﴾[1]، هؤلاءَ المخَلَصون الذين يرون أن الدعاء هوَ الوسـيلة اليَه وهو الغاية عندهم فهم في سـاعة الدعـاء يعرفون أنهم قريبون جداً مـن اللّه الذي اجاز لهم الكلام معه بغير واسـطة أو حُجّاب بينهم وبينه جل وعلا فهم يستأنسـون بالحديث اسـتئناس العريس بعروسـه أو الحبيـب بحبيبه حتى أنه يُفهم من اسـتغفارهم من الذنوب هي ذنوب انقطاع الحديث معه، فأنهم حين يجيبون الناس عن مسائلهم وقضاياهم فأنهم يعتبرونها انقطـاع عنـه جل وعـلا وان كانت نفس أفعالهم هـذه هي لوجهه تعالى، روي عن رسـول اللّه ﷺ ﴿تـرك الدعاء معصية﴾[2]، وروي عـن أمير المؤمنـين عليه السلام ﴿الدعاء مفتاح الرحمـة ومصباح الظلمة﴾[3]، فإن ترك الدعاء جاءت الظلمة الموحشـة حسـب رأيهم عليهم السلام وفي نهاية هذا الحديث عن هذه الفئة المخلصة التي لا يصل اليها كيد الشـيطان وغوايته ﴿قَـالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِـينَ۞إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُـمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[4] نذكـر حادثة النبي ابراهيـم عليه السلام حينما أمر النمـرود بإلقائـه في النـار، يقول الإمـام الصـادق عليه السلام: «ولما ألقي في النـار تلقـاه جبرائيل في الهواء وهو يهـوي، فقال يا ابراهيم ألك

---

(١) . المصدر نفسه.

(٢) . تنبيه الخواطر / ج٢/ ص ١٢٠.

(٣) . البحار / ج٩٣ / ص ٣٠٠.

(٤) ص آية ٨٢ ـ ٨٣.

حاجة؟ فقال {ابراهيم} عليه السلام: أما اليك فلا»[1] .

وقيل إنما سمي خليلاً لانه لم يسأل غير الله، وهذه منزلة لا ينالها الى ذو حظ عظيم.

الصنف الثالث: المتوسط بين هذين الصنفين فليس هو في مرتبة الاولياء الكمّل ولا من الصنف الاول الذي لا يعرف الله سبحانه وتعالى، وهما قسمان، قسم يغفل في بعض الاحيان بأن الحوائج بيد الله فيطرق ابواب الخلائق في قضاء حاجته ولا يتكل على الله فيها ويتصور ان بعض مجالات الحياة لا يحتاج فيها الى الدعاء وإنما عليه أن يقضيها بتوسط الناس أو المال أو مما اكتسبه من جاه ومقام ناسياً أن الاشياء كلها مسخرة بيدهِ جل وعلا، وهناك حادثة يرويها الحسين بن علوان قال: كنا في مجلس نطلب فيه العلم وقد نفدت نفقتي في بعض الاسفار فقال لي بعض اصحابنا: من تؤمّل لما قد نزل بك؟ فقلت: فلاناً، فقال: إذن والله لا تسعف حاجتك ولا يبلغك أملك ولا تنجح طلبتك، قلت: وما علمك رحمك الله؟ قال: إن أبا عبد الله عليه السلام حدثني أنه قرأ في بعض الكتب ان الله تبارك وتعالى يقول: وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعن أمل كل مؤمل {من الناس} غيري باليأس ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ولأنحّينّه من قربي ولأبعدنه من فضلي، أيؤمل غيري بالشدائد؟ والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكرِ باب غيري؟ وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي أملني لنوائبه فقطعته دونها؟ ومن ذا الذي رجاني لعظيمةٍ فقطعت رجائه مني؟ جعلت آمال عبادي

---

(١) . قصص الانبياء / ص٩٦.

عندي محفوظة، فلم يرضوا بحفظي وملأت سماواتي ممن لا يمل من تسبيحي وأمرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم {أن} من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها احد غيري الا من بعد اذني، فمالي اراه لاهياً عني، أعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته عنه فلم يسألني رده وسأل غيري، أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب سائلي؟ أبخيل أنا فيبخلني عبدي أوليس الجود والكرم لي؟ أوليس العفو والرحمة بيدي؟ أوليس أنا محل الآمال؟ فمن يقطعها دوني؟ أفلا يخشى المؤملون أن يؤملوا غيري، فلو أن أهل سماواتي وأهل ارضي أملوا جميعاً ثم اعطيت كل واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك أنا قيّمه، فيا بؤساً للقانطين من رحمتي ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني[1].

وقسم آخر سائر وسالك باتجاهه جل وعلا مستنيراً بهدي الاولياء المعصومين عليهم السلام متخذاً اقوالهم الصريحة واشاراتهم وتلميحاتهم علامات للطريق، هم ورثة الانبياء وحصن الامة وقاصمي ظهر الشيطان هم الهداة لسبيل الله ورسوله والائمة عليهم السلام.

---

(١) . الكافي / ج٢ / ص٦٦.

الدعاء.. شروطه وآدابه

إذا اردت الوصول الى نقطة ما سواء كانت قريبة او بعيدة يسيرة او عسيرة فلا بد من وجود علم وعزم وآلة للوصول اليها وكذلك الدعاء يجب ان نوفر له شروط الاستجابة حتى لا يكون مجرد لقلقة لسان ويكون فعلاً خاوياً، فإن من الآيات الواردة في القرآن الكريم التي تنص على هذا المعنى وكذلك الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام تؤكده، إذن يجب علينا ان نعرف شروط استجابة الدعاء وآدابهُ.

روي ان رجلاً جاء الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أني دعوت الله فلم ارَ الاجابة؟ فقال عليه السلام: لقد وصفت الله بغير صفته، وأن للدعاء اربع خصال ـ اخلاص السريرة، واحضار النية، ومعرفة الوسيلة، والانصاف في المسألة ـ فهل دعوت وأنت عارف بهذه الاربعة؟ قال {الرجل}: لا، قال عليه السلام: فاعرفهن[1]، حينما نقرأ هذا النص نرى جواب الإمام عليه السلام ووصف الرجل بأنه وصف الله بغير صفاته وقول الإمام هذا للرجل بملاحظة أن من صفات الله سبحانه وتعالى بأنه «الصادق» وقد قال في كتابه العزيز ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2] فأنه وعد منه جل وعلا فكيف لا يعطي من سأله ودعاه، إذن وباختصار نقول ان هذا الرجل لم يحقق الشرط الموجود في هذه الآية المباركة وإذا لم يتحقق فعل الشرط لا يتحقق الجزاء، فمعرفة الشروط وتطبيقها هو الاداة الموصلة الى النتيجة، وفي هذا الحديث نرى كيف بيّن الإمام عليه السلام بعض شروط الدعاء بقوله «وأن

---

(١) . تنيه الخواطر / ج١ / ص ٣٠٢.

(٢) . غافر آية ٦٠.

للدعاء اربع خصال» وايضاً أكد الإمام على معرفتهن والمعرفة هنا يمكن ان يقال عنها هي الحفظ والفهم لهذه الخصال والتي تعتبر من شروط الدعاء، وهي:

١. **المعرفة**: وهي الاعتقاد الجازم بأن المدعو قادر على استجابة الدعاء مجيب الطلب، قال النبي صلى الله عليه وآله: يقول اللّه عز وجل: من سألني وهو يعلم أني أضر وأنفع أستجيب له[1]، فيجب علينا الاعتقاد بأن اللّه لا يعجزه الطلب.

٢. **العمل بما تقتضيه المعرفة**: يجب على العلم أن يكون محركاً للانسان حتى نستطيع ان نوصفه بأنه عالم حسب الفهم الاسلامي له، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللّه مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾[2]، هذا هو تعريف العالم في القرآن الكريم فإن لم يتصف بالخشية من اللّه فليس بعالم وإن أسس أعظم النظريات، والخشية صفة نفسانية تدفع صاحبها نحو العمل، سئل مولانا الصادق عليه السلام عن قوم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو فقال عليه السلام كذبوا، إن من رجا شيئاً طلبه ومن خاف من شيء هرب منه [3].

٣. **النية الصادقة والاخلاص**: في سورة المائدة المباركة ذكر القرآن قصة ابني آدم عليه السلام وكيف تُقُبّل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل وبملاحظة سريعة الى الآية المباركة التي ذكرت الحادثة نجد أن العلة في قبول قربان هابيل دون قابيل هو التقوى

---

(١) . عدة الداعي / ص ١٣١.

(٢) . فاطر آية ٢٨.

(٣) . الكافي / ج٢ / ص ٦٨.

قال تعالى في هذه الآيـة المباركـة ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1]، فحصرت الآية قبول العمل بالنية الصادقة والاخلاص، روى صاحب البحار «فيما اوحى الله الى موسى : يا موسى ادعني بالقلب النقي واللسان الصادق»[2].

٤. **طيب المكسب:** من الامور التي ينبغي للانسان ان لا يتسرع فيها هي حيازة وجمع المال لأن عدم التأني يمكن ان يفتح الباب للشيطان في إغوائنا والوسوسة لنا بأن باب الرزق بهذا الطريق ولا يمكن ان نجد غيره فيغوينا فيكون مكسبنا من حرام والعياذ بالله ولهذا السبب تغلق علينا أبواب الرحمة الالهية فنكون مطرودين من رحمة الله تعالى، الرحمة التي وسعت كل شيء لا تسعنا، فيجب علينا ان نطهر مكسبنا ونعف عن الحرام قال الإمام الباقر عليه السلام: «ما من عبادة عند الله افضل من عفة بطن وفرج[3]»، وقال نبينا صلى الله عليه وآله: «ان العبد ليرفع يده الى الله ومطعمه حرام، وكيف يستجاب له وهذه حاله؟[4]»، وقال: «أطب كسبك تستجب دعوتك، فإن الرجل يرفع اللقمة الى فيه {حراماً} فما تستجاب له دعوة اربعين يوماً»[5] وأخيراً جاء في الحديث القدسي «فمنك الدعاء وعليّ الاجابة، فلا تحجب عني دعوة الا دعوة أكل الحرام»[6].

---

(١) المائدة آية ٢٧.

(٢) . بحار الانوار / ج ٩٣ / ص ٣٦٨.

(٣) . الفصول المهمة للحر العاملي / ج٢/ ص ٢١٨.

(٤) . ارشاد القلوب / ص ١٤٩.

(٥) . البحار / ج٩٠ / ص ٣٥٨.

(٦) . البحار / ج٩٠/ ص٣٧٣.

٥. حضور القلب ورقته عند الدعاء: حضور القلب يكون علامة على التأدب الباطني لله سبحانه وتعالى، إن ربنا امرنا ان لا ندعو معه إله آخر في الظاهر وكذلك في الباطن وعلينا ان لانغفل ولا نشرك معه احداً وخصوصاً في لحظات الدعاء فإنه جل وعلا لا يقبل الشراكة مع اي احد من خلقه وايضاً يريد ان ندعوه وعقولنا وقلوبنا ملتفتة اليه، قال الإمام علي عليه السلام: «لا يقبل الله عز وجل دعاء قلب لاهٍ»[١]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا اقشعر جِلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك فدونك دونك، فقد قصد قصدكَ»[٢].

٦. الايمان بإستجابة الدعاء: كل الالهيين من حكماء ومتكلمين اتفقوا على ان الله جل جلاله قادر على ما في هذا العالم صغيره وكبيره جليله وحقيره وكل ما في الوجود بيده لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء، وايضاً انهم اتفقوا على انه كريم فإذا نظرنا الى هذين الوصفين يتبين لنا أننا إذا دعوناه فسيستجيب لنا ولقد ورد في حديث عن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله «ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة، واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب لاه»[٣]، وورد في الحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي، فلا يظن بي إلا خيرا»[٤].

---

(١) . البحار / ج٩٠ / ص٣١٤.

(٢) . البحار / ج ٩٠/ ص ٣٤٤.

(٣) . البحار /ج٩٠/ ص٣٢١.

(٤) . البحار / ج ٩٠ / ص ٣٠٥.

موانع استجابة الدعاء

بعد بيان الموجز لشرائط استجابة الدعاء نفتح باب موانع الاستجابة ويمكن القول هنا ان نفس شرائط الاستجابة اذا لم نطبقها ونتيقنها فأنها سوف تكون موانع الاستجابة ولكن يمكن ان تضاف أمور مع ما ذكرنا :

١. **الذنب**: إذا كان هناك مفاتح لأبواب السماء فإن هناك افعال تغلق ابواب السماء وتبعد الرب عن سماع النداء والاستغاثة والاستجارة به وهنالك مغالق تغلق النفس الانسانية وتحولها الى نفس بهيمية لا تفقه شيئاً وتمنع العطاء الالهي المتدفق المستمر على عباده وتضيق الاناء المتلقي للفيض الالهي وتحجب عن النفوس الاشراقات الالهية الا وهي الذنوب ومن جملة الذنوب «الغيبة ـ البهتان ـ الظلم ـ عقوق الوالدين» وسنتكلم بإيجاز شديد مستشهدين ببعض الآيات والاحاديث إن دعت الحاجة اليها.

أ. الغيبة : قال الجوهري «اغتابه اغتياباً اذا وقع فيه، والاسم الغيبة وهو ان يتكلم خلف الانسان بالمستور بما يغمه لو سمعه فإن كان صدقاً سمي غيبةً» وبعد فهمنا لهذا المعنى لا نحتاج الى مزيد في التوضيح، فعليه يجب علينا ان نكف عن ذكر معايب اخواننا وكما يجب ان ننزه أسماعنا عن سماعها قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام «ونزه سمعك عن استماع الغيبة واجتنب ان يفرغ المغتاب أخبث ما في وعائه في وعائك»[1]، وقال النبي صلى الله عليه وآله : «الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الاكلة في

---

(١) . مستدرك السفينة / ج٨ / ص ٩٣.

جوفه»[1] .

ب. البهتان: هو ان يتكلم خلف الانسان بالمستور بما يغمه لو سمعه وكان كذباً سمي بهتاناً ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله «من بهت مؤمناً او مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه أقامه الله تعالى يوم القيامة على تل من النار حتى يخرج مما قاله فيه»[2].

ج. الظلم: ومعناه وضع الشيء في غير موضعه عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ان الله عز وجل اوحى الى عيسى بن مريم قل للملأ من بني اسرائيل اني غير مستجيب لاحد منكم دعوة ولأحد من خلقي قبله مظلمة» [3].

د. عقوق الوالدين: من اعظم الذنوب واكبرها هو عقوق الوالدين فقد قرن طاعته وبرهما معاً قال تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[4] وقد جاءت الاحاديث المباركة تبين لنا من هم الوالدان وهناك والد سببي و والد نسبي والنسبي هما الاب والام والسببي هما رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا ابا الحسن الا وإني وإنت أبوا هذه الامة ، فمن عقنا فلعنة الله عليه»[5] وغير خاف على كل مطلع الى النصوص الشريفة أن العقوق يقطع الرزق ويمنع الدعاء ، واخيراً في الكلام حول هذا الموضوع ننقل حديث الإمام الباقر عليه السلام: «إن

(١) . البحار / ج٧٥ / ص ٢٢١.

(٢) . البحار / ج ٧٥ / ص ١٩٤.

(٣) . الخصال / ص ٣٣٧.

(٤) . الاسراء آية ٢٣.

(٥) . مستدرك السفينة / ج٩ / ص ٢٦٤.

العبد يسأل الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها الى اجل قريب او الى وقت بطيء، فيذنب العبد الذنب فيقول الله تبارك وتعالى للملك: لا تقضي حاجته واحرمهُ إياها ، فإنه تعرض لسخطي واستوجب الحرمان مني»[1]

٢. **مناقضته للحكمة**: ان الانسان في مراحل تكوينه كلها متجه نحو الكمال وحينما يدخل الى عالم الدنيا ويبدأ مرحلة التكليف يتعهده الله ببعض الابتلائات التي تبلور وتكون شخصيته وترقيها من حال الى حال، وقد روت كتب الاحاديث هذا المعنى كثيرا وهناك باب يسمى باب التمحيص والابتلاء للمؤمن في كتب الحديث العامة نذكر منها قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: إن كرم الله سبحانه لا ينقض حكمته، فلذلك لا يقع الاجابة في كل دعوة [2].

٣. **مخالفته للأمر التشريعي والتكويني**: هناك جملة احكام وردت في الشرع المقدس يجب علينا اتباعها من اجل حفظ النفس والنظام الاجتماعي والاقتصادي وبترك هذه الاوامر والنواهي ستعم الفوضى في المجتمع فعلينا ان نتخذها اساساً لمعاملاتنا ولا نرجو الدعاء فيها لأنه ورد المنع فيها قال مولانا الإمام الصادق عليه السلام: «اربع لا يستجاب لهم دعوة ـ الرجل جالس في بيته يقول يا ربِ ارزقني فيقول له: ألم آمرك بالطلب؟، ورجل كانت له امرأة فدعا عليها فيقول: ألم أجعل أمرها بيدك؟ ورجل كان له مال فأفسده فيقول يا ربِ ارزقني، فيقول له: ألم آمرك بالاقتصاد؟ ـ ورجل كان له

---

(١) . البحار / ج ٩٣/ ص ٣٤٤.

(٢) . غرر الحكم / ح ٣٤٧٨.

مال فأدانه بغير بينة فيقول: ألم آمرك بالشـهادة؟»[1]، هذا موجز لموانع اسـتجابه الدعاء فعلينا الحذر منهـا وعدم الغفلة عنها كي يُمن علينا بدخول المحضر المقدس واستماع دعائنا ومناجاتنا.

آداب الدعاء

وهـو كيفية ترتيـب ابواب الدعـاء وحالة الداعي أثنـاء التوجه بـه، وهناك اداب كثـيرة للدعاء نخلص الى اظهرها واشـهرها، قال مولانا الصادق عليه السلام احفظ آداب الدعاء... فإن لم تأت بشـرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة[2]

١. **الابتداء بالبسـملة:** وهو من اهم شـروط الدعاء لما لهذه الآية المباركـة من شـأن عظيم فقد وردت هـذه الآية المباركة في كل سـور القـرآن الكريم الا في سـورة التوبة ووردت في سـورة النمل مرتـين وهي من العلامات الخمس للمؤمن حسـب الحديث المروي عن الإمام الحسـن العسـكري عليه السلام: «والجهر ببسـم الله الرحمن الرحيم»، هذه الآية وحسب تعبير النبي صلى الله عليه وآله تفتح ابواب الطاعة وقد قال فيها وفي الدعاء لا يرد دعاء اوله بسم الله الرحمن الرحيم[3].

٢. **تقديـم الثنـاء والمدحة والتمجيد لله سـبحانه:** قال الإمام أبو عبـد الله الصـادق عليه السلام لرجل: «كل دعاء لا يكـون قبله تحميد فهـو ابـتر، إنمـا التحميد ثم الثنـاء، قلت: ما ادري مـا يجزي من

(١) . الدعوات للراوندي / ص٣٣.

(٢) . بحار ا لانوار / ج ٩٣ / ص ٩٠.

(٣) . الدعوات للرواندي / ص ٥٢.

التحميد والتمجيد ، قال عليه السلام : يقول : اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس قبلك شيء وانت الباطن وليس دونك شيء وانت العزيز الحكيم»[١].

٣. **الصلاة على محمد وآله:** قال النبي صلى الله عليه وآله «صلاتكم عليّ إجابةً لدعائكم وزكاة لاعمالكم»[٢] ، قال الإمام الصادق عليه السلام : «لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلي على محمد وآل محمد»[٣] ، ان التوجه بالصلاة على محمد وال محمد لم يقتصر في المسلمين فقط ، فقد وردت الروايات ان استفتاح الخير دائماً يكون بذكرهم عليهم السلام من زمن ابينا آدم عليه السلام ومروراً بجميع الانبياء ، ولقد كانت اليهود قبل الاسلام اذا دهمتهم البلايا يتوسلون بمحمد وال محمد والروايات مبثوثة في كتب الحديث والتأريخ الاسلامي شاهدة على ذلك[٤].

٤. **الاستشفاع بالصالحين محمد وآله:** قال الإمام أبو الحسن الكاظم عليه السلام : «إذا كانت لك حاجة الى الله فقل: اللهم إني أسألك بحق محمد وعلي فإن لهما عندك شأناً من الشأن» [٥].

٥. **الإقرار بالذنب:** قال الإمام الصادق عليه السلام «إنما هي المدحة ، ثم الإقرار بالذنب ، ثم المسألة والله ما خرج عبد من الذنوب

---

(١) . الكافي / ج٢ / ص ٥٠٣.

(٢) . البحار / ج٩٣/ ص٣١٥.

(٣) . الكافي / ج٢ / ص ٤٩١.

(٤) توجد روايات في كتاب الإمام العسكري وفي البحار ، فراجع

(٥) . الدعوات للراوندي / ص ٥١.

إلا بالاقرار»[1].

٦. التضرع والابتهال: كان النبي ﷺ إذا دعا اللّه وناجاه يتضرع تضرعاً شـديداً حتى إن رداءه يسقط من كتفه، وروي فيما وعظ اللّه تعالى عيسى عليه السلام : يا عيسى أدعني دعاء الحزين الغريق الذي ليـس له مغيـث... ولا تدعني الا متضرعاً الـي وهمك هماً واحداً، فإنك متى تدعني كذلك أجبتك[2].

٧. ان يصلـي ركعتـين: قـال الإمـام الصـادق عليه السلام: «ان رجلاً دخل المسـجد فصلى ركعتين ثم سـأل اللّه عز وجل، فقال رسـول اللّه ﷺ أعجل العبد ربه وجاء آخر فصلى ركعتين ثم اثنى على اللّه عز وجل وصلى على النبي وآله، فقال ﷺ: سل تعط».[3]

٨. أن لا يسـتصغر شـيئاً من الدعاء: ورد في الحديث القدسي يا موسى سلني كلما تحتاج اليه حتى علف شاتك وملح عجينك [4].

٩. أن لا يستكثر مطلوبه: قال رسول اللّه ﷺ: «سلوا اللّه وأجزلوا، فإنه لا يتعاظمه شيء» [5]، وقال الإمام الباقر عليه السلام: «لا تستكثروا شيئاً مما تطلبون، فما عند اللّه أكثر مما تقدرون»[6].

١٠. تقديم الصدقة قبل الدعاء: قال الإمام الصادق عليه السلام : «كان

---

(١) . البحار / ج٢٣ / ص ٣١٨.

(٢) . البحار / ج ٩٣ / ص ٣١١.

(٣) . الدعوات الراوندي/ ص ١٢٧.

(٤) . البحار / ج ٩ / ص ٣٠٣.

(٥) . البحار / ج ٩٠/ ص٣٠٢.

(٦) . البحار / ج٩٠ / ص٣٤٦.

ابي اذا طلب الحاجة طلبها عند زوال الشمس، فإذا اراد ذلك قدم شيئاً فتصدق به وشم شيئاً من طيب وراح الى المسجد ودعا في حاجته بما شاء الله»[1].

هذه بعض الآداب المذكورة في كتب الحديث وتركنا باقي الاقسام الاخرى خوفاً من الاطالة وخروج عن المقصد الذي وضعت له هذه الرسالة.

آثار الدعاء

لكل فعل من افعالنا اثر وهذا الاثر قد يكون دنيوياً وقد يكون اخروياً وقد يجمعهما معاً، والدعاء من النوع الثاني الذي يجمع خير الدنيا والاخرة فيه وكانت سمة الانبياء عليهم السلام داوم الدعاء سلوكاً وقولاً ومن الانبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم في استجابة الدعاء له زكريا عليه السلام حين رزقه الله يحيى عليه السلام لإعانته على شؤون الرسالة الالهية التي فيها المصالح الدنيوية والأخروية لكل الناس، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله كلما بعث أمير المؤمنين عليه السلام في أمر خارج المدينة وخصوصاً بعد استشهاد جعفر بن ابي طالب عليه السلام يردد هذا الآية المباركة ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[2].

---

(١) . الكافي / ج ٢ / ص ٤٧٧.

(٢) .الانبياء آية ٨٩ .

الآثار الدنيوية

١. **ينجي من القدر**: قال رسول الله ﷺ «ان الحذر لا ينجي من القدر ولكن ينجي من القدر الدعاء»[1]، قال الإمام الكاظم عليه السلام «عليكم بالدعاء فإن الدعاء لله والطلب الى الله يرد البلاء وقد قدر وقضي ولم يبقَ الا إمضاؤه، فإذا دعي الله عز وجل وسئل صرف البلاء صرفاً»[2].

٢. **تقصير زمن البلاء**: قال الإمام الصادق عليه السلام لأصحابه: هل تعرفون طول البلاء من قصرهِ؟ قالوا: لا قال: إذا أُلهم احدكم الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البلاء قصير[3].

٣. **الدعاء شفاء لكل داء**: قال الإمام الصادق عليه السلام: عليك بالدعاء فإن فيه شفاء من كل داء[4].

٤. **الدعاء حرز ومأمن من الشيطان**: قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: أكثر الدعاء تسلم من سَورة الشيطان[5].

٥. **الدعاء وقاية من الاعداء**: قال رسول الله ﷺ الا أدلكم على سلاح ينجيكم من اعدائكم ويدر ارزاقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: تدعون ربكم بالليل والنهار فإن سلاح المؤمن الدعاء[6].

(١) . مكارم الاخلاق / ص ٩.

(٢) . الكافي / ج٢ / ص ٤٧٠.

(٣) . بحار الانوار / ج٩٠ / ص ٣٨١ .

(٤) .الفصول المهمة / للعاملي/ ج٣ / ص ٣٠.

(٥) . بحار الانوار / ج٧٥/ ص ٩.

(٦) . الكافي / ج٢ / ص٤٦٨.

٦. الدعـاء يوقـف البـلاء: قـال الإمام الكـاظـم عليه السلام: إن الدعاء يستقبل البلاء فيتواقفان الى يوم القيامة[١]

الآثار الأخروية

١. علو المنزلة في الجنة: قال رسـول اللّه صلى الله عليه وآله: يدخل الجنة رجلان كانـا يعملان عملاً واحداً، فـيرى احدهما صاحبه فوقه، فيقول يـا رب بما اعطيتـه وكان عملنا واحدا؟ فيقول اللّه تبارك وتعالى سألني ولم تسألني[٢].

٢. رفعـة وعظمة ثـواب المؤمن: قال الإمـام الصادق عليه السلام إن الرب ليلي حسـاب المؤمن فيقول تعرف هذا الحساب؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: دعوتني في ليلة كذا وكذا في كذا وكذا فذخرتها لك، قال: فمما يرى من عظمة ثواب اللّه يقول: يا رب ليت إنك لم تكن عجلت لي شيئاً وادخرته لي.[٣]

٣. خصوصيـة أثـر الدعـاء في الأخرة للمؤمن فقط: قال رسـول اللّه صلى الله عليه وآله: أن اللّه عـز وجل يعطي الدنيا من يحب ويبغض ولا يعطي الاخـرة الا لمن يحب، وإن للدنيـا أبناء وللآخرة أبناء، فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا[٤].

(١) . بحار الانوار / ج٩٣ / ص ٣٠٠ .

(٢) . بحار الانوار / ج ٩٣/ ص ٣٠٠.

(٣) . بحار الانوار / ج ٩٣/ ص ٣٧١.

(٤) . بحار الانوار / ج٧٤/ ص١٨٨ .

الدعوات المستجابة

وردت في الاحاديث الشريفة ان هناك دعوات مستجابة نافذة الى السماء واصلة الى يد القدرة لا يحجبها حجاب ومن هذه الدعوات:

١. دعوة الوالد لولده إذا بره ودعوته عليه إذا عقه: قال النبي الامين ﷺ: «فإياكم ودعوة الوالد فإنها أحدّ من السيف»[١].

٢. دعوة المظلوم، ولكن بشرط ان لا يكون ظالماً لغيره.

٣. دعاء المؤمن لأخيه المؤمن أو دعاؤه عليه: قال الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاث دعوات لا يحجبن عن الله تعالى... ورجل مؤمن دعا لأخ له مؤمن واساه فينا ودعاؤه عليه إذا لم يواسه مع القدرة عليه واضطرار أخيه اليه»[٢]، وروي ان في كتاب البحار ان الله تعالى قال لموسى «ادعني على لسان لم تعصني به فقال: أنى لي ذلك، فقال: أدعني على لسان غيرك».

٤. دعوة الإمام العادل.

ويجمع هذه النقاط الاربعة قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أربعة لا ترد لهم دعوة الإمام العادل لرعيته، والوالد البار لولده، والولد البار لوالده، والمظلوم، يقول الله وعزتي وجلالي لأنتصرنّ لك ولو بعد حين»[٣].

---

(١) . مستدرك الوسائل /ج٥/ص٢٥٦.

(٢) . بحار الانوار / ج ٧١ / ص٣٩٦.

(٣) . بحار الانوار / ج٧٤ / ص٤٢١.

٥. **دعوة أطفال المؤمنين:** قال رسـول اللّه ﷺ: «دعاء أطفال أمتي مستجاب ما لم يقارفوا الذنوب»[١]. ملاحظة مهمة في هذا الحديث وهو أن الطفل غير مكلف فكيف يكون مذنباً؟ في مقام الجواب يمكـن ان نقول ان الطفل يذنب قبل التكليف لكنه غير مؤاخذ عليـه ولكن هـذا الفعل يمنع اثر إسـتجابة الدعـاء لديه، فليس هنالك ملازمة بين عدم التكليف ومقارفة الذنوب.

٦. **المحسـن للناس:** قال النبي الاكـرم ﷺ: «من أحسـن الى قوم فلم يقبلوه بالشكر فدعا عليهم استجيب له فيهم»[٢].

٧. **قارئ القرآن:** قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «من قرأ القرآن كانت له دعوة مستجابة أما معجلة أو مؤجلة»[٣].

---

(١) . بحار الانوار / ج ٩٠ / ص٣٥٧.

(٢) . بحار الانوار / ج٩٠ / ص٣٤٩.

(٣) . مستدرك الوسائل / ج٤ / ص ٢٦٠ .

أوقات وأماكن استجابة الدعاء

الروايـات كثـيرة في اختيـار زمان ومـكان الدعـاء فكما ان الانسـان يحتـاج الى شـروط خاصة يه حتـى يتوجه بالدعـاء فأنه يحتـاج الى الازمنـة والأمكنة المباركة لإكمـالٍ الابعاد الروحية للدعاء ومن هذا الاوقات والاماكن نذكر شيئاً بايجاز شديد.

١. بعد الصلاة الواجبة.

٢. عند نزول المطر.

٣. ظهور آية معجزة لله في أرضه.

قـال الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاث اوقات لا يحجب فيه الدعاء من الله ـ في أثـر المكتوبة، وعند نـزول القطر، وظهور آية معجزة لله في ارضه»[1].

٤. **وقت السـحر:** قال النبي صلى الله عليه وآله: «خـير وقت دعوتم الله عز وجل فيه الأسحار، وتلى هذه الآية في قول يعقوب ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ﴾ قال أخرهم الى وقت السحر»[2].

٥. **في شـهر شـعبان:** قال الإمام الرضا لأبى الصلت الهروي: يا ابا الصلت أن شعبان مضى أكثره وهذه أخر جمعة منه فتدارك فيما بقـي منه تقصيرك... وإكثر من الدعاء والاسـتغفار وتلاوة القرآن ...الخ.[3]

(١) . بحار الانوار / ج٨٢ / ص٣٢١ـ أمالي الطوسي / ج١ / ص٢٨٧.

(٢) . الكافي / ج٢ / ص٤٧٧.

(٣) . الوسائل / ج١٠/ ص٣٠١.

٦. **المسجد**: قال الإمام الصادق عليه السلام: «عليكم بإتيان المساجد فإنها بيوت الله في الارض ومن اتاها متطهراً طهره الله من ذنوبه وكتب من زواره فأكثروا فيها من الصلاة والدعاء»[١]، والمساجد فيما بينها تفاضل فإن المسجد الحرام له من الفضل ان الصلاة فيه بمائة الف صلاة وكذلك مسجد النبي صلى الله عليه وآله وكذلك مرقد مولانا أمير المؤمنين فإن الصلاة فيه لها شأن عظيم وكذلك عند مولانا الإمام الحسين عليه السلام وباقي الذرية من الإئمة عليهم السلام، واستجابة الدعاء في هذه الاماكن لا تحتاج الى بيان فهي أشهر من نار على علم.

٧. **عند المريض**: قال الإمام الصادق عليه السلام: «من عاد مريضاً في الله لم يسأل المريض للعايد شيئاً الا استجاب الله له»[٢].

مصادر الدعاء:

الدعاء في الكتاب المجيد: حينما نتشرف بقراءة القرآن الكريم ونتلوا آياته المباركة نجد انه ورد في السور القرآنية وبمضامين مختلفة ولأبواب كثيرة منها جاءت على لسان الانبياء عليهم السلام ومنها جاء على لسان المؤمنين والمؤمنات وقد احصيت ابواب الدعاء في القرآن الى عشرين باباً منها الاستعاذة من الشياطين، ومنها الاستعاذة من الشرور والاشرار، ومنها طلب الذرية الصالحة، ومنها طلب النصرة من الله على الكافرين، ومنها طلب الدخول

---

(١). أمالي الصدوق / ص٢٩٣ .

(٢). بحار الانوار / ج ٧٨ / ص ٢١٧.

الى الجنة والتعوذ من دخول النار وايضاً الدعاء للوالدين والاقربين وطلب الهداية والاستقامة على الصراط السوي واستدامتها والى غير ذلك من الحاجات الدنيوية والاخروية. فكان حال أغلب الصالحين الدعاء وسمي النبي ابراهيم عليه السلام بالأوّاه لكثرة الدعاء وهو المروي عن الإمام الباقر عليه السلام في إجابته على سؤال لرجل، قال له الرجل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ قال الأمام الباقر عليه السلام: «الأواه هو الدَعّاء»، ومن الادعية التي ذكرت في القرآن على لسان النبي ابراهيم عليه السلام ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ و ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ و ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

الدعاء عند المعصومين عليهم السلام

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ جاء بيان العبادة في هذه الآية المباركة هو الدعاء، فإذا كانت العبادة هي الدعاء والدعاء هو العبادة فهما يشتركان في حقيقة واحدة الا وهي إظهار الخشوع والافتقار الى اللّٰه وهو معنى متأصل في الانسان وغيره من المخلوقات وعلى درجات هذا الخضوع والخشوع بل والمعرفة نجدها عند المعصومين عليهم السلام وبين ايدينا تراث ضخم من الادعية والمناجات التي تدل بمضامينها العالية أنها خرجت من منبع النور بحيث لانجد مثيلاً لها قد نسب الى غيرهم، وهذا على مقتضى القاعدة التي تقول ان العارف بربه اكثر، يكون اشد خضوعاً وتأدباً مع ربه، ويشهد بتلك الاعلمية أن

رسول الله صلى الله عليه وآله قد قرنهم مع الكتاب وعدم مفارقتهم له كما نص عليه في حديث الثقلين، فعلى الموالي إذا اراد ان يدعو الله بدعاء، فعليه ان يتبع ما ورد عنهم عليهم السلام من الادعية، فهي من اعلى مراتب آداب العبودية مع الله سبحانه وتعالى وثانياً أن الادعية الواردة عنهم تغطي كل حاجات الانسان لتفريج الهم وقضاء الدين وطلب التوبة والاستغفار وغيرها من المسائل التي تعرض على الانسان في يومه عند طلوع الشمس وزوالها وغروبها وفي شهره وسنته عند رؤية الهلال والليالي البيض، والازمنة المشرفة مثل يوم عرفة وليلة النصف من شعبان وشهر رمضان كله.

وثالثاً لاحتواء الدعاء على مضامين عالية من المسائل العقائدية والجوانب التربوية والاخلاقية والتشريعية، فإن الدعاء يتحول من مجرد مناجاة بين العبد وربه الى مدرسة شاملة تُعلّم المسلم وغيره السلوك والآداب بين العبد وربه وبين الانسان وأخيه الانسان، فكان الدعاء طريقا لتعليم الانسان بعد ان منعت السلطات التعليم المباشر وهذا ما لجأ اليه الإمام السجاد عليه السلام في وضعه للصحيفة السجادية في زمن كانت فيه الحكومات تلاحق اتباع اهل البيت، تبقى مسألة مهمة يجب الاشارة اليها ان الأدعية الواردة على لسان المعصومين وحسب تعبيرهم هي كنوز من العرش يجب علينا عدم تغيير الفاظها او نزيد بالالفاظ وحسب الاصطلاح هي مسائل توقيفية والشاهد لهذه المسالة ان عبد الله بن سنان قال له الإمام الصادق عليه السلام: «ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يرى ولا إمام هدى ولا ينجو منها الا من دعا بدعاء الغريق»، قلت: وكيف دعاء الغريق؟، قال: «تقول يا الله يارحمن يا رحيم، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي

على دينك، فقال: «إن اللّه عز وجل مقلب القلوب والابصار ولكن قل كما أقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[1]، وبعد هذا الحديث المباركٍ نجد تأكيد الإمام عليه السلام بعدم زيادة أي لفظ وإن كان صحيحاً وذلك من خلال اعادته العبارة على هذا الصحابي بقوله «قل كما اقول».

وبما اننا نعيش ايام شهر رمضان المبارك علينا نأخذ بعض المقاطع من الادعية بهذا الشهر الفضيل لنستلهم منها بعض العبر والمواعظ. ذكرنا في آداب الدعاء أنه يجب تقديم المدح والثناء للّه سبحانه وهذا المعنى أخذناه من اقوال المعصومين عليهم السلام ومن خلال نفس مناجاتهم ودعائهم فنرى الإمام زين العابدين عليه السلام عندما يدخل عليه شهر رمضان المبارك يدعو اللّه سبحانه بدعاء خاص فأول ما يبتدئ به الإمام عليه السلام الحمد والثناء للباري عز وجل فيشكر ربه لأنه منّ عليه وعلى الأمة بأنٍ جعلنا من أهل هذا الشهر المبارك الذي فرض فيه الصيام إكراماً لنا بأن هدانا لطريقه وجعل هذا الشهر من الطرق الموصلة اليه جل وعلا، لأن هذا الشهر هو شهر طهور وتمحيص، فإن الذي يمنع العبد من الوصول والفوز بالقرب الالهي هي الذنوب، ومن خلال هذا الفرض المبارك علينا ان نتطهر من الاثام ونمحص الذنوب إذا التزمنا بشرائط صحة الصوم وشرائط قبول الصوم أما شرائط الصحة فإنها مذكورة في الكتب الفقهية لعلمائنا الاعلام وأما شرائط القبول فقد وردت الكثير من الاحاديث المباركة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ولكننا في هذا الموجز سنعرض عنها الا ما احتجناه في بيان بعض عبارات هذا الدعاء الشريف أو يكون شاهداً لمقاطع الدعاء.

---

(١) . بحار الانوار/ ج ٥٢/ ص ١٤٩.

إنه عليه السلام بعد الحمد والثناء صلى على محمد وآله وشرع بالطلب لمجموعة امور أولها أن يمن الله عليه بإلهامه معرفة فضل شهر رمضان وهو أمر طبيعي لكل عاقل حرٍ إذا اراد العمل عليه ان يتصور مضمون المراد حتى يكون باعثاً لتحريكه وتكريس طاقته نحو المطلوب، وايضاً بالمعرفة تكون حرمة شهر رمضان عندنا اعظم، ولتوضيح هذا المطلب نأتي بالمثال التالي: لو مر عليك رجل وسلم فأنت ترد السلام عليه ولا تزيد أكثر من ذلك، ولكن لو اُخبرت أن هذا الرجل هو العالم الكذائي أو الفقيه الفلاني لكان سلامك اليه أشد من ظاهر اللفظ اللساني، إنما هناك في نفسك احترام اكثر واجلال اعظم وكذا الكلام في شهر رمضان ومعرفته، وهنا يمكن ان نجد النكتة في ابتداء الإمام عليه السلام في بيان شيء عن هذا الشهر المكرم في مقدمة دعائه، ومن خلال المقطع الدعائي «وَالتَّحَفُّظَ مِمَّا حَظَرْتَ فِيهِ» ، ان السلوك في شهر رمضان لا ينبغي ان يكون كمثله في باقي الاشهر وليس الكلام هنا انه فتح باب رخصة لفعل المحرمات في غيره من الشهور ولكن من باب التشديد لفعل الأحسن فإذا كان لنا اوراد يومية في غيره يجب ان تزداد في شهر رمضان وان كان هناك صلة رحم لبعض اقاربنا واخواننا المؤمنين الموالين يجب علينا تأكيدها في شهر رمضان وزيادتها لتعم باقي اخواننا ، هناك حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يوجه أحد أصحابه به قال عليه السلام: «لا يكون يوم صومك كيوم فطرك»[1].

ثم قال الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿وَأَعِنَّا عَلَى صِيَامِهِ بِكَفِّ الْجَوَارِحِ عَنْ مَعَاصِيكَ﴾ يظهر الإمام عليه السلام افتقاره الى ربه ويطلب

(١) . الكافي / ج٤ / ص٨٧.

الاستعانة به لأن المؤمن الحقيقي العارف بالله يعلم ان الاستعانة محصورة با لله سبحانه وتعالى واليه اشار الكتاب المجيد ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وكأنه يقول يا رب لا طاقة لي على تجنب معاصيك الا بك ثم يقول عليه السلام: ﴿وَاسْتِعْمَالِهَا فِيهِ بِمَا يُرْضِيْكَ﴾ اي الجوارح التي هي العين والاذن وباقي الاعضاء فبدلاً من ان تنظر العين الى المحرمات تنظر الى الكتاب المجيد وبدلاً عن اللغو والغيبة تقرأ القرآن الكريم، وعوضاً عن سمع الكلام اللهوي في هذا الشهر نسمع احاديث اهل البيت عليهم السلام وتوجيهات المرشدين الى الطريق السوي فإننا ان فعلنا هذا سيكون هذا الفعل مانعا من طريق الرذيلة وهو واضح بديهي لا يحتاج الى برهان واستدلال، فإن من شغل بنفسه نسي الاخرين ومَن اهتم بالحديث مع ربه يمتنع من حديث الشيطان وحزبه، وعليه يجب أن نهتم بهذه الشروط وغيرها من شروط القبول ونستعين بالله حتى نحصل على الجزاء من رب العزة، قال النبي صلى الله عليه وآله لجابر بن عبد الله: «يا جابر هذا شهر رمضان من صام نهاره وقام ورداً من ليله وعف بطنه وفرجه وكف لسانه خرج من ذنوبه كخروجه من الشهر»، فقال جابر: يا رسول الله ما احسن هذا الحديث!، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا جابر وما اشد هذه الشروط»[1]، ولا ينتهي عند هذا الحد وإنما اضاف الإمام عليه السلام وصفا آخر وهو ان يخلو من رياء المرائين وسمعة المسمعين لأن الرياء هو الشرك حسب ما ورد عن الإمام الصادق في حديث أسنده عن أبيه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله سئل: فيما النجاة غداً فقال: إنما النجاة في ان لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنه من يخادع الله يخدعه، ويخلع منه الايمان،

(١) . الكافي / ج٤ / ص٨٧.

ونفســه يخدع لو يشعر»، فقيل له وكيف يخادع اللّه؟ قال: «يعمل بأمر اللّه ثم يريد به غيره، فاتقوا اللّه واجتنبوا الرياء، فإنه شرك بـاللّه أن المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر، حبط عملك وبطل اجرك، ولا خلاق لك اليوم، فالتمـس اجـرك ممن كنت تعمل له»[1] ، هذا بالنسـبة للرياء أما السمعة فإن البعض ومع الأسف ينسى احاديث اهل البيت عليهم السلام بأن تكون افعالنا مع اللّه جل وعلا وخير هذا الافعال هي التي تكون بالسـر قال الإمام أمـير المؤمنين عليه السلام: «وصدقة السـر فإنها تذهب الخطيئـة وتطفـئ غضب الرب»[2]، فـإن اعمالنا الصالحة يمكن ان تبطـل بكلمة واحدةٍ ولهذا كان الإمام في دعائه ينبه على هذه الفقـرة، روي ان رجلاً دخل على محمد بن علي بن موسـى الرضا عليهم السلام وهو مسرور فقال عليه السلام: «مالي اراك مسروراً؟» قال: يا ابن رسول اللّه سمعـت اباك يقول: احق يوم بأن يسـر العبـد فيه، يرزقه اللّه وصدقات ومبرات وسـد خـلات اخوان له مؤمنـين، وإنه قصدني اليوم عشـرة من اخواني المؤمنين الفقـراء لهم عيالات، فقصدوني من بلد كذا وكذا فأعطيت لكل واحد منهم، فلهذا سـروري، فقـال الإمـام الجواد محمد بـن علي عليه السلام: «لعمري انـك حقيق بأن تسـر، إن لم تكن حبطته، أو لم تحبطه فيما بعد»، قال الرجل: وكيف احبطته وأنا من شـيعتكم الخلص؟ قال: «هاه قد ابطلت بـرك بإخوانك وصدقاتك»، قال : وكيف ذاك ياابن رسـول اللّه؟ قال له محمد بن علي: «اقرأ قول اللّه عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾» قال الرجل: ياابن رسـول اللّه

---

(١) . امالي الصدوق/ ص ٦٧٧.

(٢) . أمالي الصدوق / ص ٢١٦.

ما مننت على القوم الذين تصدقت عليهم ولا آذيتهم، قال له محمد بن علي عليه السلام: «إن الله عز وجل قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ولم يقل لا تبطلوا بالمن على من تتصدقون عليه وبالأذى لمن تتصدقون عليه وهل كل اذى افترى أذاك القوم الذين تصدقت عليهم اعظم أم أذاك لحفظتك وملائكة الله المقربين حواليك، أم أذاك لنا؟» فقال الرجل بل هذا يابن رسول الله فقال: «لقد آذيتني وآذيتهم وأبطلت صدقتك لقولك«وكيف أحبطته وأنا من شيعتك الخلص» ويحك أتدري من شيعتنا الخلص؟ قال: لا، قال عليه السلام«شيعتنا الخلص حزقيل المؤمن ومؤمن آل فرعون وصاحب ياسين الذي قال الله تعالى فيه ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار، سويت نفسك بهؤلاء؟ أما آذيت بهذا الملائكة وأذيتنا»، فقال الرجل: أستغفر الله واتوب اليه، فكيف اقول؟ قال: «قل أنا من مواليكم ومحبيكم ومعادي اعدائكم وموالي اوليائكم»، فقال: كذلك اقول وكذلك انا يا ابن رسول الله وقد تبت من القول الذي انكرته وأنكرته الملائكة، فما انكرتم ذلك الا لإنكار الله عز وجل، فقال: محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام: «الان قد عادت اليك مثوبات صدقاتك وزال عنها الاحباط»[1]، وبعد هذا الحديث الذي دار بين الإمام الجواد عليه السلام والرجل الموالي نرى ان مجرد ذكر المبرة والمساعدة للاخوان قد تكون مبطلة للعمل فعلى المؤمن الساعي للقاء ربه ان يكون حذر في هذا الجانب.

---

(١) . تفسير الإمام العسكري/ ص ٣١٤ - ٣١٦ .

نظرة في دعاء الافتتاح

نقل هذا الدعاء عن السفير الثاني ابي جعفر محمد بن عثمان رضي الله عنه، ابتـدأ الدعاء بالحمـد والثناء على الباري عـز وجل فقد حمد الله واثنى عليه تسـع عشـرة مرة في كل ثناء معنى خاص مختلف عن الباقـي، ففي أول الحمد ابـان ان التسـديد الى الطريق الصحيح والصراط السـوي لا يكون الا بمنٍّ وتفضّل منه جل وعلا، ثم نزه البـاري عن اوصاف المخلوقـين بالوجود او ايجاد الاشـياء ثم مدح الباري عز وجل بالتنزيه وعدم المشـابهة في الاوصاف والصفات ثم انتقـل للثناء عليه بما هو رب قيوم أمره في الاشـياء واحد وكرمه ظاهر، وهي من الصفات الفعلية للذات المقدسة واوضح من خلال الشـكر للباري سعة عطائه واجابته لدعوة العبد وكشف السوء عنـه، واسـتمر الإمام ببيان اوصاف الباري عـز وجل الى ان انتهى الى الصفـة الذاتية غير الاضافية وهـي صفة الحياة، ثم انتقل الى الدعـاء بالعناية الالهية الخاصة للنبي صلى الله عليه وآله وأبان اوصافه التي يجب ان نعيها ثم الدعاء لباقي الإئمة حسـب تسلسل وجودهم في الحياة الدنيـا، ولزم الصلاة على النبي بالصـلاة عليهم لان من الثابت ان الصـلاة البـتراء مردودة، وفي الصلاة علـى النبي صلى الله عليه وآله ذكر وصف مهم وهو «حافظ سـرك» يذكر الإمام إن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله هو حافـظ السـر الالهي وهو وصـف عظيم لم يوصف بـه اي مخلوق حتـى الملائكة المقربين ويمكـن ان نفهم هذا المعنى لو رجعنا الى حديث الاسراء والمعراج، حيث ان هناك مرتبة وصل اليها جبرائيل مـع النبي صلى الله عليه وآله ووقـف عندها مخبراً رسـول الله انه لـو تجاوز هذا الحد سـيحترق، ان هذه المرتبة التي وقـف عندها الأمين جبرائيل

هي اسـرار خاصة غير مسـموح لـه بمعرفتها لكن هذه الاسـرار نقلـت الى أمـير المؤمنين عليه السلام وهذا الامر ذكـره الإمام الحجة عجل الله فرجه بعبـارة «ووصي رسـول رب العالمين» عن ابـي الصامت قال سمعت ابـا عبـد اللّه عليه السلام يقـول: «إن من حديثنا مـا لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسـل ولا عبد مؤمـن»، قلتُ: فمن يحتملـه، قال: «نحن نحتملـه»[1]، ثـم بعد الإمام أمـير المؤمنـين عليه السلام الى الإئمة «صالح بعـد صـالح وصادق بعد صـادق»[2] الى أن انتهـت الى بقية اللّه في الارض الإمام الحجة بن الحسـن عجل الله فرجه ومن هنا سـؤال يدور في خلد الانسـان ما فائدة هذه الاسرار؟ نقول في معرض الجواب أن وجود الإئمـة عليهم السلام هو من أجل صلاحِ البشـرية في الدارين الدنيا والاخرة وهذا الصلاح سيكون ظاهراً في زمن دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه حيث تخرج الارض خيراتها وتنزل السماء بركاتها فلا يبقى محتاج ولا عائـل وتنطمـس كل اثار الزيغ والبغي ويعم العـدل والامن، وهنا سـؤال آخر يرد لماذا لا يعجل اللّه ظهور الإمام؟ أليس فيه الصلاح والخـير؟ واللّه يريـد صلاحنا وخيرنـا؟ يمكن الاجابـة على هذا السـؤال بقول الإمام المهدي عجل الله فرجه الى الشـيخ المفيـد رضي الله عنه والذي جاء على شـكل توقيع من ناحيته المقدسـة، ذكـر الإمام بعد حديث لـه «ولو ان اشـياعنا وفقهـم اللّه لطاعته على اجتمـاع من القلو ب في الوفـاء بالعهد عليهـم، لما تأخر عنهم اليُمـن بلقائنا، ولتعجلت لهم السـعادة بمشـاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسـنا عنهـم إلا ما يتصل بنا مما نكرهـه ولا نؤثره منهم واللّه

---

(١) . بصائر الدرجات / ص٤٣.

(٢) . دعاء الندبة.

المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل»[1].

قبسٌ من دعاء ابي حمزة الثمالي:

في سورة التوبة المباركة ذكر الله لنا وصف المؤمنين الذين باعوا انفسهم لله وكان ثمن البيع هو الجنة وابتدأ بأول صفة انهم التائبون حيث قدمها على كل الصفات الاخرى من العبادة والذكر والصيام والصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي هذا التقديم ملاحظة هامة يجدر بنا الاشارة اليها وهي أن الانسان في مقام السير الى الله يجب عليه ان يتخلى عن الصفات المذمومة كـ «الغيبة و البهتان وعقوق الوالدين وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومداهنة الخلق فيها والعصبية المنهي عنها في الاسلام وغيرها من الصفات التي تذكر في بحوث الاخلاق» والتي يعبر عنها مقام التخلية، وبعد هذا المقام يكون الانسان مستعداً لقبول الصفات الحميدة، وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام الذي كان يدعو به وقت السحر المسمى دعاء ابي حمز ة الثمالي هذا الدعاء الذي يحتوي على مضامين عالية ومفاهيم اسلامية عظيمة فقد جاء فيه مع النظرة التوحيدية الخالصة بيان الأسس الأخلاقية وفيه آداب السلوك مع الله سبحانه وتعالى، ذكر الإمام من خلال دعائه مسألة التوبة والتي هي من المسائل التي يجب للمؤمن ان يلتفت اليها فقال: ﴿وَانْقُلْني إلى دَرَّجَةِ التَوْبَةِ إلَيْكَ وَأعِنِّي بِالبُكاءِ عَلى نَفْسي فَقَدْ أَفْنَيْتُ بِالتَّسْويفِ وَالامالِ عُمْري، وَقَدْ نَزَلْتُ مَنْزِلَةَ الايِسينَ مِنْ خَيْري فَمَنْ يَكُونُ أَسْوَاءَ حالاً مِنِّي اِنْ أَنا نُقِلْتُ عَلى مِثْلِ حالِي إلى

---

(١) . الاحتجاج

قَـبْرِي لَمْ أُمَهِّدْهُ لِرَقْدَتِي وَلَمْ أَفْرُشْـهُ بِالعَمَلِ الصَّالح لِضَجْعَتي﴾[1]
فالتوبـة في اللغة هي الرجوع عن الذنب وحقيقتها النَدم على الفعل المحـرم والعزم على عدم العـودة اليها وهي درجة العليين التي قالها إمامنـا أمير المؤمنين عليه السلام وذكر معانيها الست ومن خلال كلام الإمـام عليه السلام يبين أن التوبة ندم داخلي وعزم جدي وحقوق تؤدى الى النـاس والى الخالق وعمل الفرائض التي اوجبها الله وهذه الدرجة تحتاج الى صبر وشـجاعة وتضحية وقبل كل شـيء توفيق من الله سـبحانه وتعالى، لا بد للتائب من النفرة من الذنوب والاثام ويهرب منهـا وعليه ألا يقدم على اي خطوة يمكن ان تكون هي الخطوة الاولى لفعـل المعصية، إن التوبة ليسـت للمذنبين بالذنوب المعروفة المحرمة في الدين فقط، وإنما هناك مراتب حسـب الاسـتعداد قد ذكـر هذا المعنى الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «التوبة حبل الله ومدد عنايتـه، ولا بـد للعبـد من مداومـة التوبة علـى كل حال، وكل فرقة من العباد لهم توبة، فتوبة الانبياء من اضطراب السر، وتوبة الاصفياء مـن التنفس، وتوبة الاولياء مـن تلوين الخطرات، وتوبة الخاص من الاشـتغال بغير ذكر الله، وتوبـة العام من الذنوب»[2]
يميز الإمام عليه السلام طبقات التائبين فليست التوبة منهم على حد سواء فنرى تعبير الإمام عن توبة الانبياء أنها اضطراب السـر، فمثلاً ان النبي موسى عليه السلام في مواجهته لفرعون وسحرته بعد ان ألقوا حبالهم وعصيّهم وكانت أمام الناظرين كأنها أفاعي تسـعى فأوجس في نفسه خيفة أن الباطل قد يغلب الحق هنا وحسب تعبير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لم يوجس موسـى خيفة على نفسه، أشفق من غلبة

(١) . مفاتيح الجنان .

(٢) . مستدرك المسائل / ج٢ / ص١٣١. نقلاً عن مصباح الشريعة

الجهال ودول الضلال»[1].

إن استغفار موسى عليه السلام ليس من الذنب المعهود عندنا أو عند حتى الخاص من عباده، وذكر بعدها الإمام توبة الاصفياء من التنفس ومعناها أنهم يستغفرون الله إن تنفسوا بغير ذكر الله أي انه لو مرت لحظة بغير ذكر الله فإنهم يستغفرون، وتوبة الاولياء من تلوين الخطرات اي انهم يتوبون الى الله حين يدخل حيز تفكيرهم أمر غير الله من الامور وعدم اطمئنان القلب بذكر الله وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله وهي التوبة بالاشتغال بقضايا دنيوية او الاشتغال بتفكير يفضي الى الامور الدنيوية، فأما توبة العام من الناس فهو من الذنوب والمعاصي الظاهرة، فقد ذكر بيان لهذه المراتب من التوبة حتى نشغل أنفسنا ونبتغي بها طريق الكمال ونحث السير نحوه جل وعلا ونسرع بأقصى ما لدينا من قوة ممنوحة من الله ما دام باب التوبة مفتوحاً، يقول الباري عز وجل ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

فإن الذي فتح باب التوبة لا يحرم عبده المغفرة قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[3]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس شيء احب الى الله من مؤمن تائب او مؤمنة تائبة ويقول الله افرح بتوبة عبده من العقيم الوالد، ومن الضال الواجد، ومن الضمآن الوارد»، ولكن مع هذه البشارات هنالك تنبيه ألا يغتر الانسان بطول الامل لأن تأخير التوبة اغترار، فما حاله إذا جاء الموت وهو مصر على

---

(١) . شرح نهج البلاغة للقزويني/ ج١ / ص٢١٢.

(٢) . النور آية ٣١.

(٣) . البقرة آية ٢٢٢.

الذنب ولم يعجل التوبة فإن بعد المشاهدة لا ينفع الاستغفار ولا تجديه التوبة نفعاً، يقول الإمام الباقر عليه السلام: «إذا بلغت النفس هذه - وأهوى بيده الى حلقه - لم يكن للعالم توبة، وكانت للجاهل توبة»، ولكن كيف نعلم أننا من التوابين الذين يحبهم الله علينا؟ ان نلتمس من الوحي الالهي ومن أهل البيت عليهم السلام الطريق والعلامات التي تنجينا، يقول النبي الاكرم صلى الله عليه وآله: «أما علامات التائب فأربعة: النصيحة لله في عمله، وترك الباطل، ولزوم الحق والحرص على الخير»، فهذه الامارات يجب علينا ان ننصبها امام اعيننا ونعيها ونلتزم بها بأفعالنا وتروكنا يجب علينا ان نبكي على ما فات من اعمالنا من لهو ولعب وترك لطريق الحق، فإن أمامنا عقبات كؤود لا ينجو منها الا من رحم الله فعلينا بتهذيب انفسنا اولاً ما استطعنا ثم اهلنا، يقول الباري عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، لما حضرت الامام الحسن عليه السلام الوفاةُ بكى، فقيل له: يا ابن رسول الله تبكي ومكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي انت به؟ وقد قال فيك ما قال، وقد حججت عشرين حجة ماشياً وقد قاسمت مالك ثلاث مرات حتى النعل بالنعل؟ فقال عليه السلام: «إنما ابكي لخصلتين لهول المطلع وفراق الاحبة».

ما أشد هذا الخبر حينما نسمع ان الإمام الحسن السبط عليه السلام وهو ريحانة رسول الله وسيد شباب اهل الجنة بنص من النبي يبكي لهول المطلع، فعلينا ان نبكي على انفسنا ونرجو رحمته الواسعة إنه التواب الرحيم.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الفهرس

الدعاء.. وآثاره الروحية

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الشؤون الفكرية والثقافية



fikriya@aljawadain.org راسلونا

www.aljawadain.org زورونا